١ — إن موضوع الميتافيزيقا عند أرسطو هو الوجود بما هو موجود أى هذا الوجود المكون من مادة وصورة، ومن ثم كانت ثلاث قضايا رئيسية عالجها أرسطو فى الميتافيزيقا.

أ — عن الجوهر الميتافيزيقي وهو الجوهر الكلي الذى لا تخالطه المادة والذى لا يقبل الكون والفساد.

ب — علل هذا الوجود ومبادئه وهى أربع علل ومبدأى القوة والفعل ، وقد تميز أرسطو بأنه لم يتأتى بمبدأ خارج الوجود يفسر به الوجود وهذا خلافا لسابقيه الذين نادوا بمبدأ خارجي لتفسير الوجود.

جـ — المحرك الأول الذى هو مصدر الحركة فى الوجود هو صورة خالصة وفعل دائم ونهاية كل الموجودات.

٢ — لا شك أن أرسطو كان يمثل المثل الأعلى للفكر فى العصور الوسطي ولقد كان المعلم الأول الينبوع الذى استقى منه الغرب المسيحي فكره، ولعل ذلك راجع إلى أن منطق أرسطو كانت له السيادة الفكرية منذ بذوغ شمس العصور الوسطى وذلك منذ عصر الأباء إذ كانت عظمة أرسطو آنذاك تتمثل فى منطقة أما بقية فلسفة أرسطو وميتافيزيقاه وطبيعياته فلم تعرف إلا بعد هذا التاريخ.

٣ — تأخرت ميتافيزيقا أرسطو فى دخولها إلى العالم المسيحي، وذلك لأن كتب أرسطو المنطقية والشروح العربية للكتب الأرسطية كانت هى المعروفة فى ذلك الوقت، وكانت هذه الشروح بها بعض الأخطاء الناجمة عن الترجمات السريانية التى نقل عنها العرب. كما أن أفلاطون كان صاحب السيادة لأن فكره المثالى كان أقرب إلى الروح المسيحية من فكر أرسطو الواقعي.

٤ — وقد أدت ميتافيزيقا أرسطو إلى ظهور ثلاثة تيارات كبرى فى أوروبا:

التى يمكن لكل فكر أن يتقبلها، وفى بعض الأحيان تصبح القضيـــة الفكريـــة مسلمة تحتاج إلى برهان مثل" إن الوجود والماهية أول شئ يدركه العقل ومثل هذه المسلمات هى التى تحدد من مقدار نجاح الفيلســوف الذى يكون فى هـذه الحالة مجدداً، ولذلك نستطيــع أن نقول مع جيلسون E. Gilson إن القديــس توما الأكويني مجدد ولم يكن ينجح فى مهمته لأنه اعتبر فلسفة أرسطو آخـــر مرحلة من مراحل التفكير الإنساني .

١٧ – قد ساعد اتفاق المزاج بين الفيلسوفين ووجودهما فى نفس الظروف الفكرية بل وخضوعهما لنفس البواعث التى دفعتهما إلى ما انتهينا إليه من اتجاه فلســفي فكلاهما تتجاذبه دعوتان، دعوة نحو المثالي والضروري الــذى يظــهر فـــى الصورة أو فى الله ودعوة نحو الواقعي والفردي الذى يظهر فى المادة أو فـــى العالم، وهذه الدعوة ذات الاتجاهين المتعارضين هى أساس كل نبوغ فلسـفي . كانت مهمة أرسطو التعبير عن الجزئي والكلي، عن الحسى والعقلـــى عـــن الحادث والضروري، أى أنه لم يرد أن يضحى بالعالم المرئي كما فعل أستاذه أفلاطون كما أنه لا يستطيع أن ينكر الفكر وهو تلميذ لأفلاطون وسقراط، لـذا كانت مهمته إيجاد اتجاه ثالث يحاول أن يعيد للأشياء وجودها الطبيعي وفـــى نفس الوقت يحكمها بمفاهيم عقلية محكمة. وتلك كانت مهمة توما الإكويني فى عدم التضحية بالعالم الذى يحيط به والأشياء التى يراها كما كان الحال فـــى الفلسفة المسيحية عند آباء الكنيسة خاصة أتباع أفلاطون فى القـــرن الرابـــع وعلى رأسهم القديس أوغسطين. ولم يرد أيضا أن يضحى بالفكر خاصة وأنه أتى بعد قرن كان الجدل وما يزال هو أسلوب التفكير وكـــانت التصـــورات ومازالت هى مادة التعامل،وكانت مشكلة الكليات خاصة عند أبيلار Abelard هى مشكلة المشكلات ومن ثم، كان دور توما الإكويني فى العثور على طريق ثالث يجمع بين الفكر والعالم، وبيـــن التصـــور والشـــئ ، وبيـــن المعقـــول والمحسوس، ومن هنا جاء لقاؤه مع أرسطو على نفس الخـــط وفـــى نفـــس الاتجاه.

١٨ – هكذا فهم توما الإكويني فلسفة أرسطو أو بالأحرى كان ينظر إلى نفسه من خلاله وكان يقرأ عليه فكره الخاص وذلك أمر طبيعي يؤكده تاريخ الفلسفة عند الفلاسفة ويشير إليه صراحة أو ضمنا أكثر من إشارته إلى أى فيلسوف آخر، والقسمة الثنائية التى يستعملها لتحديد معنى لفظ الوجود، الوجود الذى ينقسم إلى الأجناس العشرة والوجود الذى يعني الصدق فى القضايا، هى قسمة الفيلسوف –أرسطو– الذى يرى الوجود وجودين ، واقعيا كوجود الجوهر وفكريا الذي يعبر عنه بفعل الكينونة فى الربط بين الموضوع والمحمول فى القضية. ويختار القديس الوجود بمعناه الأول كى يكون موضوع تحليله ويتجه نحوه ويصبح هذا الوجود هو الجوهر الأرسطي المتميز الذى يدل الحد عليه، ولكن الحد الذى لا يكون إلا بالجنس البعيد والفصل القريب يدل على جوهر الشئ أى على ما به قوامه أو إن شئنا على الماهية، فالماهية قريبة من الوجود إن لم تكن فيه ، والجوهر طبيعة، والطبيعة هى ماهية الشئ، والشئ هو فعله. والجنس لا يضاف إلى الفصل كما لا يضاف الموضوع إلى الكيفية، والواقع أنه لا إضافة هناك ، فالجنس والفصل تحديدات لمادة هى الموضوع نفسه الذى لا ينفصل عن كيفياته . والحركة داخلة فى الشئ، والنمو حال فيه، فالشئ يصير من القوة إلى الفعل، والعقل الذى هو بالقوة أشبه بلوح مصقول لم ينقش عليه شئ .

ثم يبدو الشق الثاني فى فلسفة أرسطو عندما يبين توما الإكويني هذه النزعة نحو الصورة فى تحليليه للجواهر البسيطة والعودة بعدها إلى الجواهر المركبة حيث يرى أرسطو أن الصورة هى مصدر الفصل، والفصل مستخلص من ماهية الشئ وهى الصورة كما تتضح هذه النزعة فى ترتيب الوجود من مركب إلى بسيط ترتيبا رأسيا، المركب من أسفل والبسيط من أعلى، حتى إذا ما وصلنا إلى الجواهر العقلية عاشت كلها على نسق واحد فى ترتيب أفقى يمتنع فيه القسمة إلا أن العلة من أعلى والمعلول من أسفل. وهكذا يتحول التنزيه العقلي إلى نزعة دينية تلقائية، تجعل من الصورة علة ومن المادة

معلولا، والصورة لا تحتاج إلى المادة كما لا يحتاج التعقل إلى جسم أو آلـــة وإن كان منها ما يحتاج كالإحساس ، بل إن المادة تعيش فى ترقب للصـــورة وهذا الترقب هو الذى يسبب المباينة فى المادة وكأن الصورة ســـجينة تـــود الانطلاق إلا أن المادة تثقلها وتتشبث بها . فالتنزيه العقلي الأرسطي والإيمـان الديني عند توما الإكويني يؤديان فى النهاية إلى إثبات موجود تكون ماهيتـــه عين وجوده ويحتوي على جميع الكمالات .

١٩ - اعتبر القرن الثالث عشر الذى عاش فيه القديس توما الأكوينى أبهى عـــهود العصر الوسيط لمكانته الفلسفية وتأثيره على الكنيســـة الكاثوليكيـــة والقـــرب المسيحى بصفة عامة .

٢٠ - إن عدد غير قليل من الفلاسفة المعاصرين مثل جاك ماريتان وأتين جلســـون يعتبرون الفلسفة التوماوية الآن فلسفة حية تقيم الحجة على سائر الفلســـفات . لأن أعمال توما الأكوينى تجمع كل المحاولات الفلسفية السابقة عليه وتقسيمها فى مذهب فلسفى شامخ . اقتصرنا فى رسالتنا على أهم موضوعاتـــه وهـــو مشكلة الألوهية .